إنتقـــام المريض

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ ع . ا

دق جرس التليفون بغير انقطاع فاستيقظ « سكرتير » الطبيب نهاية الأمر من حلم كان يراه وقام إلى السماعة ولا يزال به أثر التهويم فسمع :

« هل يتفضل الطبيب بأن يعود المستر رتشارد في الحال ؟ إنه يظن نفسه مشرفاً على الموت »

فأجاب سكرتير الطبيب في لهجة لا تدل من العطف على قليل ولا كثير : « أحقاً سيموت ؟ إن الدكتور بنتون لم ينم منذ ليلتين وقد انتهت الليلة مواعيد العيادة »

وزار الطبيب المريض وفرغ من فحصه دون أن ينطق بحرف . فقال المريض وبه ما به من الهلع : « إنني أشعر بتحسن منذ أتيت. هل مرضي خطر؟ وما اسم هذا المرض ؟ »

فأجابه الطبيب مقتضباً دون أن ينظر إلى وجهه: « كاجزيا »

ومضت فترة صمت ثم قال المريض بصوت هادئ : « يظهر من اسم المرض أنه خطر. ألا يوجد علاج له ؟ »

فحدق الطبيب في وجهه وقال : « أخشى ألا يكون في أي دواء فائدة »

قال المريض : « لقد ظننت ذلك بعد إذ فقدت الشهوة للطعام . أليس لديك وسيلة لإكراهي على الأكل » . فهز الطبيب رأسه وقال : « أنت مصاب بالأنوركيس »

قال المريض : « وما هذا المرض ؟ » فقال الطبيب : « هو ضغط شديد في البنيتاراليا والتهاب في الباريتيكس »

قال المريض : « وهل هذه الأعراض خطيرة ؟ » فقال الطبيب بصوت لا نغمة له : « هل لك أقارب تريد أن تراهم ؟ »

فنظر المريض إلى الطبيب نظرة حائرة ثم قال : « هل تعني أنه لا تجدي المحاولة ؟ » فقال الطبيب : « لا أعرف أكثر مما تعرفه »

ثم وضع يده على جبينه ومشى نحو الباب . وعند الباب وقف ، والتفت إلى النائم على السرير وكأنه في التفاتته أراد أن يقول شيئاً ولكنه لم يزد على قوله : « سعدت مساء ! » ... ثم خرج ...

في الليلة التالية كان الطبيب جالساً مع صديق له في النادي وكانا يدخنان لفافتين من التبغ الفاخر على أثر العشاء فقال الصديق وهو من رجال القضاء : « ما أشدها مهنة مملة ! قضيت يومي كله في تعب شديد »

فقال الطبيب : « مهما يكن عمل القاضي متعباً فإنه يتمتع على الأقل بالراحة في ليله ، لا كالطبيب الذي يستدعى في الليل ست عشرة مرة لينصت إلى سخافات من يتوهمون أنهم مرضى وليس بهم شيء من المرض. ولقد فكرت تفكيراً جدياً في ترك مهنة الطب والاشتغال بالتجارة أو بأي شيء آخر »

قال القاضي : « ما أغرب هذا التصريح ممن يعده أهل المدينة أسعدهم ! إنني كنت أظن حرفة الطب هي الحرفة الوحيدة التي لا يشكو أصحابها منها »

فضحك الطبيب وقال : « لقد استدعاني ليلة الأمس في منتصف الليل مريض أفقدني كل صبري. وإنما أذكره لأن حالته نموذج لحالة أكثر المرضى »

قال القاضى : « ما الذى حدث ؟ »

فقال الطبيب : « استدعانى فقلت له إنه مصاب بالكاجزيا »

فضحك القاضى وقال : « وما يدريك أنه لا يعرف اللغة اليونانية فيفهم أن مرضه هو عسر الهضم ؟ »

فابتسم الطبيب وقال : «لا أظنه يعرف اليونانية وقد وجدته غير مصاب بشىء ولكنه شره على مايظهر فأكل أكثر من طاقته، ثم أقلقنى فى منتصف الليل وقال لى إنه سيموت، وابتدرنى بقوله إنه يظن أن داءه غير قابل للشفاء فسخرت منه وتظاهرت بالجد وبخطورة المرض لعله يمتنع عن الأكل فيشفى وقلت إن مرضه هو الكاجزيا ، وأن عنده التهاباً فى البارتينكس »

قال القاضى : « لقد أخطأت فإن الوهم قد يترك فى المريض أثراً سيئاً »

فقال الطبيب بلهجة المتململ : « عليه أن يصبر على هذه المزحة فقد أطار نومى وضايقنى ومع ذلك فسأمر به الليلة فى طريقى إلى منزلى وأخبره أنى كنت أمزح معه »

فى هذه اللحظة دخل الخادم يحمل خطاباً باسم الطبيب على طبق من الفضة ففض الطبيب الخطاب بغير عناية، ولكنه ما كاد يقرؤه حتى وثب من مكانه وقال : « لقد كنت شديد الحماقة . إن هذا المريض الأبله قد صدق مزاحى وعزم على الانتحار. لقد قضى على مستقبلى ؛ فربما ترك الرجل خطاباً يذكر فيه سبب كرهه للحياة. لقد هلكت! »

فقال القاضى : « إذا كان فى الإمكان انقاذه فلا تضيع الوقت سدى . ألم يقل فى الخطاب كيف عزم على الانتحار ؟ »

فناوله الطبيب الخطاب فقرأه ثم نظر إلى ساعته وقال : « فى وسعنا الآن إنقاذه فهلم إلى منزله فى السيارة . لقد حدد الساعة العاشرة ونحن الآن قبلها بدقائق . هل المنزل قريب ؟ »

قال الطبيب : « نعم » ثم ركبا السيارة ووصلا إلى المنزل . فسأل الطبيب الخادم : «هل السيد هنا؟ »

قال : « نعم هو فى غرفة المكتبة ، وقد أمر بألا يدخل عليه أحد »

ولكنهما لم ينتظرا سماع البقية وقطعا درج السلم وثباً .

وكانت مخيلة الطبيب تصور له المحكمة ، وهو واقف أمامها موقف الاتهام يحاول التخلص من إيهامه المريض ولا يجد لذلك مجالاً . وكان فى هذه اللحظة يلعن نفسه لأنه لم يصارح المريض بأنه ضايقه بدلاً من أن يسخر منه

ووصلا إلى غرفة المكتبة وكانت مضاءة؛ ولكن نورها انطفأ فى الحال وأسرعا نحو بابها ليفتحاه ، ولكنهما سمعا عند ذلك طلقة مسدس وغاض الدم من وجه الطبيب . ودخلا فرأيا فى غبش الظلام جثة ملقاة على الأرض

وأسرع القاضى إلى الحائط يتلمس موضع الزر الكهربائي ، وجمد الطبيب مكانه وهو يقول : « بعد الموعد المناسب ما أشد حماقتى ! »

وأوقد النور ولكن الجسم الملقى على الأرض لم يكن جثة هامدة بل جسم رجل سليم يغرق فى الضحك . فلما دنا الطبيب منه قال المريض : « أوهمتنى فأوهمتك . مزحة بمزحة ! ولست أنت وحدك الذى يعرف اليونانية ...